فى كتاب البخلاء

« طبعة وزارة المعارف »

لأستاذ عظيم

— ٢ —

فى الجزء الاول

جاء فى صفحة ١١٢ :« واستلف منه على الإسوارى مائة درهم فجاءنى وهو حزين منكسر فقلت له : إنما يحزن من لا يجد بدا من إسلاف الصديق ، مخافة أن لا يرجع إليه ماله ، ولا يعد ذلك هبة منه ، أو رجل يخاف الشكية ، فهو إن لم يسلف كرما أسلف خوفا » قال الشارحان فى قوله : ولا يعد الخ ، الواو للحال والجملة حال من فاعل يرجع ، أى غير حاسب أن ذلك المال الذى استلفه هبة بل كأنه حق له لا يرد .

وأقول إن هذا تعقيد فى الإعراب وفى التفسير إذا أخذنا عبارة المتن كما هى، إذ يكون المتعين فيها اعتبار جملة (ولا يعد ذلك) حالا من فاعل (يجد) أو من فاعل (اسلاف) الذى هو نفسه فاعل يجد ، وإذن فالمعنى أن الذى يحزن إنما هو الرجل الذى يضطر إلى أن يعطى الصديق سلفة غير عاد إياها هبة . أما إذا أريد جعل جملة (ولا يعد الخ) حالا من فاعل (يرجع) كما يقول الشارحان فلا بد من حذف حرف النفى (لا) قبل (يعد) ويكون المعنى : مخافة أن يمسك المستلف عن رجع السلفة عادا إياها هبة .

وفضلا عن هذه الصورة الثانية التى تقتضى حذف لا مع بقاء (يعد) مرفوعا ليستقيم تفسير الشارحين يجوز مع حذف لا أيضا أن ينصب هذا الفعل بالعطف على يرجع .

وجاء فى صفحة ١١٤: «وكان يقول : أشتهى اللحم الذى قد تهرأ ، وأشتهى أيضا الذى فيه بعض الصلابة . وقلت له مرة : ما أشبهك بالذى قال أشتهى لحم دجاجتين » وقال الشارحان فى تفسير قوله (وقلت له مرة) أى لما قال أشتهى اللحم الخ . وكان مقتضى الظاهر أن يقول : فقلت له الخ .

وأقول إنما يصح الاعتراض لو كان الجاحظ ذكر أن ذلك البخيل (قال) أو (قال مرة) ؛ أما وقد ذكر أنه (كان يقول) فمعنى هذا أن قول البخيل تكرر مرارا ، فالجاحظ أجابه على مرة منها .

وجاء فى صفحة ١٢٠ : « ثم قال خالد هأنذا مبتلى بالمضغ ، ومحمول على تحريك اللحيين ، ومضطر إلى مناسبة البهائم ، وتحتمل ما فى ذلك من السخف والعجز . ما أبالى ! احتملته فيمن ليس لى منه بد ، ولى عنه مذهب» وقال الشارحان : وقوله فيمن ليس لى منه بد الخ ، أى فى مؤاكلة من لا فرار من مؤاكلته كأولادى وأهل بيتى . وفى النسخ التى بين أيدينا : (فيمن لى منه بد ، ولى عنه مذهب) وهو تحريف ظاهر لاعيلائم السياق ، ولا سيما أن بد لا يعرف استعمالها إلا مقرونة بالنفى .

وأقول إن هذه العبارة التى فى النسخ الأخرى لا يمكن أن تكون صحيحة حتى على فرض أن كلمة بد يجوز استعمالها بغير نفى؛ وذلك لأن المعنى يكون مكررا فى عبارتين تكريرا سخيفا لايقبله الجاحظ ولا خالد القسرى الذى يدعى الرواية عنه . والذى عندى أن الجاحظ يكون قد أراد أنه احتمل ذلك المظهر السخيف فى الأكل سواء مع أهل بيته الذين لا يستطيع التوارى منهم ولا يخشى نقدهم إياه ، أو مع أضيافه الغرباء الذين يستطيع التوارى منهم فيأمن شر نقدهم . وعلى هذا الترديد المستوفى لأوضاع الصورة المتعينة فى هذا المقام تكون جملة الجاحظ هى : (ما أبالى أحتملته فيمن ليس لى منه بد ، أو فيمن لى عنه مذهب) وذلك بهمزة الإستفهام وأم التى للتسوية . ويصح أن تكون الجملة تقريرية إثباتية منفصلة عن (ما أبالى) فتكون صحتها : (احتملته فيمن ليس لى منه بد ، وفيمن لى عنه مذهب) بإضافة كلمة فيمن فى الفقرة الثانية ، ليستقيم الوضع العربى .

وجاء فى صفحة ١٣١ : « وقيل له أيضا : فكيف سخاؤه على الخبز خاصة ؟ قال : والله لو ألقى إليه من الطعام بقدر ما إذا حبس نَزْف السحاب ما تجافى عن رغيف » وقال الشارحان فى تفسير ذلك : لو ألقى الخ ، هكذا فى نسخة الشنقيطى . والطعام البر بضم الباء . أى لو أعطى من الطعام مقدارا لو جمل كومة واحدة

فارتفعت حتى وصلت إلى السحاب ، فمنعت ماءه من أن يصل إلى الأرض ، ما تجافى الخ .

وأقول : إن العبارة محرفة وإن التفسير تعسفى لوروده على أصل غير صحيح ، والأصل كما أرى هو : « بقدر ما إذا يبس تَزِفَّ السحاب » ، أى لو أن الله رزقه من الأرغفة بمقدار لو يبس لنزف ماء السحاب وتشربه ، لما نزل منه عن رغيف . وهذا كناية عن البخل البالغ درجة لايتصور وقوعها العقل . ويلاحظ أن قوله ما تجافى عن رغيف يفيد أن الطعام هنا ليس هو البر بل هذا الخبز ورغفانه .

وجاء فى صفحة ١٥٧ : «وأنتم أيضاً إنما اكتريتم مستغلات غيرنا بأكثر مما اكتريتموها منا ، فسيروا فينا كسيرتكم فيهم ، وأعطونا من أنفسكم مثل ماتريدونه منا» ، وقال الشارحان: إذا رجعنا إلى نسخة ليدن وجدنا هناك اضطراباً فى الضمائر لا يفهم منه معنى . لذلك وضعنا (غيرنا) بدل (غيركم) و (منا) بدل (منه) و (منا) بدل (منهم) ، وهذا ما نظنه الوضع الأصلى .

والذى أراه أن العلة فى هذا الغموض هو تصحيف وقع فى كلمة (اكريتم) فصارت (اكتريتم) . فإذا أصلحنا هذه الكلمة وحدها استقامت العبارة بدون احتياج لكل التغييرات التى لجأ إليها الشارحان ؛ إذ يكون المعنى : إنكم أيها المستأجرون قد أكريتم أى أجرتم من باطنكم مستغلات مملوكة لغيركم بأجرة تزيد على الأجرة التى استأجرتم بها من أصحاب الملك ، وأنتم لا تجدون على أنفسكم حرجا من اقتضاء هذه الأجرة الزائدة من المستأجرين من باطنكم ، فسيروا فينا كسيرتكم فى هؤلاء المستأجرين من باطنكم وأعطونا من أنفسكم مثل ما تريدونه منا .

كل ما قد يعترض به على هذا التفسير أن أولئك المستأجرين من الباطن لم يذكروا فى العبارة حتى يعود عليهم الضمير فى كلمتى فيهم ومنهم — ولكن وجودهم مفهوم حتما من سياق العبارة . وكأن الواضع أشار إلى هذا باستعمال كلمة غير على لفظها المفرد وإعادة الضمير عليها فى (منه) بصيغة المفرد ، ولو كان الضميران فى فيهم ومنهم عائدين على (غير) لراعى النسق وجعلهما هاء فقط .

وجاء فى صفحة ١٦١ :« وليس كل خرق يُرْقَع ، ولا كل خارج يُرْجع » والأشكل (يُرْجَع) .

وجاء فى صفحة ١٦٨ : « فإن للنفس عند كل طارف نَزوة ، وعند كل هاجم نَزوة » . وقال الشارحان : لعلها نَزرة ، مصدر للوحدة من نَزِه إذا استعجله وألح عليه ، لأننا نستبعد على الحاحظ مثل هذا التكرار .

وأرى أن صواب الكلمة (بَزوة) من بزا عليه يبزو بَزْو تطاول . وبزاه وأبزاه وأبزى به : قهره وقوى عليه .

وجاء فى صفحة ١٧١ : «وأنت لم تنفق الحرائب ، وتبذل المصون إلا وأنت راغب فى الذكر والشكر ، وإلا لتخزن الأجر ... » وقال الشارحان : وأنت لم تنفق الخ ، فى النسخ (لو لم) ونعتقد أن لو مقحمة من الناسخ كما هو ظاهر . وأنا أعتقد أن كلمة (لو) ضرورية ويلوح لى أن السبب فى قول الشارحين إنها مقحمة من الناسخ هو أنهما قرآ هذه الجملة مفصولة من جواب الشرط ، وهو قول الجاحظ فى أول الصفحة التالية : (فقد سرنا لقلة عدد خبزك الخ)

وجاء فى صفحة ١٧٤ : « فاحسب أن البخل عليهم غالب وأن الضعف لهم شامل ، وأن سوء الظن يسرع إليهم خاصة ثم لا تداوى هذا الأمر بما لا مؤنة فيه ؟ »

وقال الشارحان : فاحسب أن الخ . أى هب البخل غالبا عليه الخ ، وقوله : (البخل) أى فكرة الحكم عليك بالبخل ويجوز أن تكون كلمة البخل محرفة عن الخجل .

وعندى أن كلمة البخل محرفة عن (التجنى) المذكورة فى السطر السابع من صفحة ١٧٣ ، وبها يستقيم المعنى لا بهذا التخليط ، وأرى أن كلمة (ثم) فى الجملة محرفة عن (فلم ؟) .

وجاء فى صفحة ١٧٧ : « قلت هذا ما لا شك فيه ، وقد علمت عندى بالصواب ، وأخذت لنفسك بالثقة ، إن وفيت بهذا القول » وأنا أظن أن (علمت) محرفة عن (عملت) وهى ومابعدها جواب الشرط الآتى فى قوله : إن وفيت بهذا القول ؛ لأنه لا معنى لقوله علمت بعد قوله هذا ما لا شك فيه . وما أتى به الشرح سهو ظاهر

« لها بقية »